متقنًا مشكولة بعض الفاظهِ المشكلة ليتيسر وضعهُ في الجيوب ويقرأهُ المولعون في خلواتهم وجلواتهم فانهُ من اشمل كتب القراءة القديمة . وبكل عصر ذوقهُ واصول تأليفهِ وقديمًا قالوا ان الصاحب بن عباد كان يصطحب معهُ احمالاً من الكتب فلما حظي بكتاب الاغاني اقتصر عليهِ كما ان كثيرًا من اهل العلم والمتأدبين في القديم والحديث اقتصروا على العقد الفريد لانهُ فريد في بابهِ

محمد كرد علي

مستقبل افريقية

من الناس من لا ينظر الى ابعد من يومهِ . فيقوم ويقعد ويأكل ويشرب كأن نوائب الدهر عنهُ غافلة وكأن ما يكفيهِ من حطام الدنيا يكفي ابنهُ وابن ابنهِ والرزق مقدور لا يزيدهُ السعي ولا ينقصهُ التوكل . واذا جرت امة كلها هذا المجرى ولم تهتم بالمستقبل ولا ادخرت لليوم العبوس فقلما تقوى على البقاء او يكون لها في معترك الامم شأن يذكر

ومنهم من تراهُ مهتمًّا دئبًا لا يقنع بقليل ولا بكثير يعمر الارض كأنهُ خالد فيها او كأنهُ يعدُّ نفسهُ جزءًا من امة كبيرة تقدّر حياتها بالالوف من السنين فيسعى اليوم لما ستصير اليهِ بعد الف عام . ويقال ان الشعب الانكليزي من هذا القبيل فيهتم الآن بامتلاك بلاد تصلح لسكناهُ حتى يهاجر اليها بنوهُ في مستقبل الازمان كما هاجروا الى اميركا واستراليا وزيلندا الجديدة لان بلادهم ضاقت بهم فلا بدَّ من مهاجرة الذين يزيدون من المواليد على الوفيات . وهم يبحثون الآن عمَّا يصلح لسكناهم من قارَّة افريقية

وقد كتب السر هري جنستن الرحَّالة المشهورة فصلاً في هذا الموضوع نشرهُ في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية قال فيهِ ما محصلهُ

ان الاوربيين الذين يقصدون الهجرة الى افريقية وامتلاكها وتعميرها كما امتلكوا اميركا وعمروها يجدون امامهم ثلاثة عوائق كبيرة تحول دون مبتغاهم الاول كثرة الامراض في الاماكن الكثيرة الماء وقلة الماء في الصحاري القاحلة والثاني مقاومة السكان لهم . والثالث الشعور الادبي الذي ابتدأ يتسلط على النفوس في اوربا وهو انهُ لا يحلُّ للاوربيين ان يغتصبوا بلادًا ليست لهم

اما العائق الاول اي كثرة الامراض في الاماكن الكثيرة الماء وقلة الماء في الصحاري القاحلة فازالتهُ صارت من الامور الممكنة لان الامراض التي تنشأ حيث يكثر الماء اكثرها من

نوع الملاريا وقد ثبت الآن انهُ اذا استؤصل منها البعوض الذي ينقل جراثيم الملاريا زالت الحميات الملارية منها . وزد على ذلك انهُ اكتشف فيها عقار يستخرج من جذر السنا يشفي من الملاريا كما تشفي الكينا من البرداء . وفي طبقات الارض تحت الصحاري ماء غزير يمكن استنباطهُ بالآبار الارتوازية فتروى يد حتى يسهل زرعها وسكناها . فالمرض وقلة الماء لا يمنعان الاوربيين من احتلال افريقية وانما يمنعهم من ذلك مقاومة الشعوب الافريقية لهم وشعورهم بانهم مغتصبون اذا فعلوا ما يأباهُ عليهم الانصاف لكن الامر الثاني من هذين الامرين تابع لاحوال الزمان فقد قيل ان الجوع كافر فاذا كثر الزحام في اوزبا ولم يجد الاوربيون لهم منتجعاً في اميركا ولا في اسيا ولا في استراليا فلا بدَّ لهم من الهجرة الى افريقية اذا استطاعوا الى ذلك سبيلاً . وناموس الجهاد لاجل البقاء يتغلَّب على كل ناموس سواهُ

يبقى العائق الثاني وهو مقاومة السكان فان اهالي افريقية اشد بأساً من هنود اميركا ومن اهالي استراليا فلا يسهل التغلب عليهم وهم اذا أُحسن اليهم سهلو الانقياد ولكنك اذا اسأتهم يوماً حبُّوا في وجهك واستقتلوا في الدفاع عن ذمارهم . فيجدر بمن يهتم بمستقبل البيض ان يبحث عن اسلوب لتعمير افريقية يكون اقل الاساليب مضرَّة بسكانها وابعدها عن اثارة الفتن فيها

والظاهر ان الزنوج سكنوا افريقية من قديم الزمان وكانت القارة كلها وطناً لهم حتى حدودها الشمالية في ما يلي بحر الروم وكانوا فريقين فريقاً من النوع الموجود الآن في استراليا وهم سكان الانحاء الشمالية وكانوا يسكنون اوربا ايضاً وفريقاً من البشمن القصار القامة . ثم تولَّد الزنوج الطوال القامة في اعالي وادي النيل وانتشروا في القارة كلها . ودخل البيض افريقية بعد ذلك من جنوبي اوربا وغربي آسيا واستوطنوا القطر المصري الى عهد البطالسة ومن ثم جعل بعض الاوربيين من الجنس الاري يرحلون اليها . اما جنوبي افريقية فلم يصل اليهِ الاوربيون الاَّ منذ ٢٥٠ سنة وكان اكثرهم من سكان جنوبي اوربا ولم تستوطنهُ الشعوب الاوربية الشمالية الاَّ منذ مئة سنة

ومنذ نحو سبعين سنة استولى الفرنسويون على بلاد الجزائر اي انهم اعادوا الكرة التي بدأ بها اليونان والرومان ومن المرجح انهُ لا يتم قرن على هذا الاستيلاء حتى تصير لهم سلطة واسعة في الشمال الغربي من افريقية ممتدة من حدود مصر الى بحيرة شاد ومن النيجر والسنجال الى البحر المتوسط تضم تحت لوائها اقواماً كثيرين من الفرنسويين والاسبانيين والايطاليين واهالي مالطة لان هؤلاء الاقوام كلهم اخذوا يرحلون الى تلك البلاد حالما انتشر فوقها العلم

الفرنسوي. وسكان البلاد من الليبيين والبربر والعرب كلهم من الجنس الابيض فاستيطان الاوربيين بلادهم ليس من قبيل نزول شعب على شعب آخر وطرده من مواطنه كما فعل الاوربيون في اميركا بل من قبيل اضافة شعب الى شعب آخر كما فعل العرب في مصر بعد الفتح. وسيكثر ورود البيض الى القطر المصري ايضاً من غربي آسيا وجنوبي اوربا كما حدث في القرون الغابرة ولكن سكان البلاد الشمالية كالانكليز والالمان لا يستطيعون الاقامة طويلاً في هذا القطر ولا في غيره من البلدان الحارة ولابدّ لهم من بلاد جبلية باردة وهي موجودة في افريقية بين نهر زمبيسي ورأس الرجاء الصالح وحول بحيرة نياسا والى الشمال الشرقي من بحيرة فيكتوريانيانزا وفي بلاد الحبشة وكل ذلك في شرقي افريقية اما في غربيها فالبلاد الجبلية الوحيدة جزيرة فرنندو بو وجزيرة سنت توماس في خليج غينيا والجبال التي تقابلها وهي المعروفة بنجود كمرون فان جانباً منها ارتفاعه عشرة آلاف قدم عن سطح البحر. وفي جزيرة سنت توماس مستعمرة برتغالية تبلغ نحو ألفي نفس

نرجع الآن الى شرقي افريقية ونبدأ ببلاد الحبشة وهي بلاد جبلية ولكن سكانها من الجنس القوقامي اصلاً ولو اسودّت بشرتهم وهم اهل حرب وجلاد لا يصطلي لهم بنار فلا مطمع بأخذ بلادهم منهم ولا يستحق الاوربون ذلك وشرقيهم الى الجهة الجنوبية بلاد الصومال او الشمال وهي اشد البلدان حرًّا والى الجهة الشمالية املاك ايطاليا وفي داخليتها بلاد عالية يسهل على الايطاليين السكن فيها وقد سكنها كثيرون منهم الآن

وفي الجهات المتوسطة من شمالي الكنجو الى البحيرات الكبيرة والى نهر زمبيسي نجود كثيرة طيبة الهواء خصبة التربة لكن سكانها اشداء البأس لا يتيسر طردهم منها او اخذها منهم والى الشمال الشرقي من فكتوريا نيانزا بلاد عالية تبلغ مساحتها سبعين الف ميل مربع تصلح لسكن الاوروبيين بل لسكن الانكليز منها خمسون الف ميل يسكنها اقوام اشداء من الزنوج وبقي ما مساحتهُ عشرون الف ميل او اربعة عشر مليون فدان يستطيع الاوربيون ان يسكنوها من غير منازع. ويقال ان في النية اعطاء ربعها لليهود لينزحوا اليها من شرقي اوربا وقد اعترض الكاتب على ذلك لان اليهود ليسوا من رعايا الانكليز ولا هم اهل فلاحة وزراعة ليعمروا البلاد

ويوجد عدا ذلك ستة آلاف ميل مربع في البلاد المتوسطة وخمسة آلاف ميل اخرى في جنوبيها وعشرون الف ميل في الولايات الجنوبية ويضاف اليها ثلثا بلاد الترنسفال وثلث روديسيا وثلثا ولاية نهر اورانج واربعة اخماس مستعمرة الرأس وثلث بلاد ناتال وكلها صالح لسكن البيض

في قارة افريقية بلاد واسعة غير البلدان التي يسكنها البيض الآن قد لا تقل مساحتها عن ١٥٠ الف ميل مربع او نحو مئة مليون فدان وهي صالحة لسكنى الاوربيين ولا ينازعهم الزنوج فيها اما لانهم لا يسكنونها الآن او لانهم قلال فيها جدًّا فمجال الاستعمار فيها واسع

ومن رأي الكاتب انهُ يجب تقسيم افريقية من الآن تقسيمًا يؤهلها للاستعمار فتترك البلاد الكثيرة السكان لاهلها وتعطى البلاد القليلة السكان التي هواؤها غير صحيح للهنود وغيرهم من اهالي اسيا لانهُ لا يتعذَّر عليهم السكن فيها واما البلاد القليلة السكان الطيبة الهواء فتعطى للاوربيين وتبقى السيادة للبيض حتى في البلدان التي اكثر سكانها من السود الى ان يتعلم السود ويتأصل العُمران في بلادهم ولكن تكون خيراتهم لهم لا للبيض والاَّ اشتدَّ النفور بين الفريقين وكثر سفك الدماء وتأخر عمران البلاد قرونًا كثيرة

وفي ما ارتآهُ من التقسيم وسكن كل فريق من الناس في البلاد التي تصلح لهُ خير ضامن لفلاح الامم التي تسكن افريقية وخير ضامن لفلاح كل امة لان الامة التي تسيطر عليها وتعيش لا تعتمد على نفسها فتبقى كالطفل الذي تحملهُ بين ذراعيك ولا تدعهُ يقع ويقوم حتى تشد كعباهُ ويستطيع المشي او كالشاب الذي يساعدهُ والداهُ في كل اعمالهِ فلا يدعان لهُ سبيلاً لاعتمادهِ على نفسهِ . وكل من يذهب الى غير ذلك فهو يجهل تاريخ العمران وعلم طبائع الانسان

الخطر الاصفر

ان ما أبدتهُ اليابان من البسالة والاقدام في هذه الحرب حمل كثيرين من الكتَّاب على الظن انها قد تتحد مع الصين وتجند من الصينيين الملايين الكثيرة وتدوِّخ بهم اوربا وسموا ذلك باتحاد الشعوب الصفراء وقالوا انهُ الخطر الاصفر الذي يتهدَّد اوربا اذا عقد النصر لليابان في حربها مع الروس . والظاهر ان مروجي هذا الوهم كانوا يقصدون اثارة خواطر الاوربيين الى الاخذ بناصر الروس فتصدَّى لهم اناس ضلعهم مع اليابان وكثر الحجاج واللجاج بين الفريقين . واطلعنا اخيرًا على مقالة لاحد كبار الكتاب جمع فيها من الشواهد والادلة ما يقنع القارىء ان لا خوف من انضواء شعوب الصين تحت لواء حربي مهما كان . وفي المقالة فوائد جمة لا بأس باطلاع قراء المقتطف عليها قال الكاتب

اذا انضمت الشعوب الصفراء (اهالي الصين واليابان) وانضوت تحت لواء واحد فقد لا تسلم اوربا من شرها ولاسيما الدول التي لها ولايات واسعة في الشرق كانكلترا وفرنسا لان اهالي تلك الولايات من الشعوب الصفراء